

مقدمة

كان أملى أن أكتب دراسة عن السيدة الطاهرة فاطمة الزهراء .. أنها بنت رسولنا الكريم محمد بن عبدالله عليه الصلاة والسلام ، والتي عاشت فى كنف والدها العظيم قبل الرسالة .. طفلة تفتحت عينها على الحياة فى بيت والدها العظيم محمد بن عبدالله .. والذى كان له مكانته فى مجتمع مكه لأمانته وسلوكه القويم حتى سموه (الامين) .

.. كما عاشت فى بيت والدتها الثرية (خديجة بنت خويلد والتي رأت فيها مثالا للأُم الحريصة على بناتها وزوجها .. ذات الذكاء اللماح ، والتي كانت مكه تكن لها كل الاحترام والإجلال .

.. فاطمة فى سنها الصغيرة شاهدت والدها عندما نزل عليه الروحى بالرسالة الخاتمة .. وكيف بدأ يشعر بثقل المسئولية .. فإنه لم يكن سهلا ولا ميسورا ان يتقبل المجتمع المكى دعوة الاسلام .

لإنها تنادى بالتوحيد وهم تعودوا تقديس الاصنام عن أبائهم واجدادهم . وكان من الصعب ان تشق الدعوة طريقها وسط قلوب كالحجارة أو أشد قسوة .. عقول لم تألف ان تفكر فى الوجود وماوراء الوجود .. وأن وراء هذا الإتساق الكونى خالقا مبدعا خلق كل الكائنات لعبادته .

.. لقد استراحت عقولهم القاصرة بأن هذه الاصنام التى يمتلىء بها بيت الله الحرام تقربهم إلى الله زلفى .

كما أن هذه الدعوة كان من الصعب أن تشق طريقها وسط هذا المجتمع القبلى الذى يتفاخر بالانساب واللقاب .. ان كثيرا منهم يرى فى (نبوة) الرسول ارتفاعا بقدر بنى هاشم ، وإعلاء لشأنهم فكان لابد ان يحاربوا الدعوة وصاحب الدعوة .

وشاهدت فاطمة .. ردود أفعال مكة عندما جاهر النبى بدعوته ، وايدائهم للمسلمين وخاصة المستضعفين منهم .. بل ان فاطمة وهى التى لم تتجاوز الخامسة من عمرها ذهبت إلى والدها فى بيت الله الحرام ، فرأت كيف وضع بعض السفهاء القاذورات على رأس أبيها وهو ساجد لربه ، فرفعت هذه القاذورات عن الاب العظيم بعيون دامعة .

وشاهدت فاطمة كيف طالب مشركوا مكة والدها بأن يأتى بما لا يمكن تصوره ، وهم يحاولون تعجيزة ، لوقف دعوته عن الانتشار .. وقد صور القرآن الكريم ذلك بقوله :

﴿ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ^(٩٠) أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ^(٩١) أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ^(٩٢) أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرَفٍ أَوْ تَرْفِقِ فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرؤه قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ^(٩٣) وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبْعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ﴿ (الاسراء ٩٠ - ٩٣) .

كان من الصعب ان تسير الدعوة فى طريقها وسط هذه القلوب المتحجرة ، والعقول المتحجرة ، التى درجت على الجدل العقيم . والقرآن الكريم يصور هؤلاء الناس بقوله :

﴿وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون﴾ (الأنبياء ١٧) .

.. شاهدت الزهراء متاعب والدها العظيم .. رسايلاقية المؤمنين من عذاب ، حتى اضطر بعضهم إلى الهجرة إلى الحبشة .. كما حوَّص قومها في شعب من شعاب مكة في حصار ظالم بغيض ، لم يراع فيه أهل مكة صلة الرحم ، ولا إنسانية ولا قرابة !!

وصمد النبي عليه الصلاة والسلام لكل هذه الألوان من العنت والظلم والطغيان .. إلى أن أمره الله بالهجرة إلى يثرب .. وهاجر .

وكان أبو بكر الصديق ثانياً إذ هما في السفر .. وبقي على بن أبي طالب في فراش الرسول يوم المؤامرة عليه ، فبات في فراشه ليلة الهجرة ، وليرد الأمانات التي كانت لدى رسول الله لمبغض الناس ..

هاجرت فاطمة إلى المدينة .. لتعيش في كنف والدها العظيم عليه الصلاة والسلام .. الذي حقق أول انتصاراته الحاسمة على كفار مكة في معركة (بدر) الكبرى .. وشاهدت تكوين أول حكومة إسلامية بقيادة الرسول في المدينة .

وكان لابد لها أن تتزوج ..

وتزوجت على بن أبي طالب ..

انجبت منه الحسن والحسين ومحسن ، وزينب ، وأم كلثوم ورقية . ومحسن مات عقب ولادته كما تقول بعض الروايات

كانت أقرب الناس إلى صدر والدها عليه الصلاة والسلام .

وكان أولادها هم أولاد الرسول الذي كان يحبهم حبا جما لانه لم يرزق الولد .. فقد مات ابنه إبراهيم صغيرا .. يحزن عليه حزنا شديدا ، بل انه

بكى لفراقه .. وقد قال لأصحابه عقب وفاة ابنه إبراهيم : ما عن الحزن نهيت ، وإنما نهيت عن رفع الصوت بالبكاء ، وأنه ماترون بى أثر ما فى القلب من محبة ورحمة ، ومن لم يبد الرحمة لم يبد غيره عليه الرحمة .

وقد حدث عند موت ابنه إبراهيم أن حدث خسوف للشمس .. وظن ، البعض أن هذا الخسوف بسبب موت إبراهيم ولكن اعظم رسل الله قال لهم :

- إن الشمس والقمر أيتان من آيات الله لا تخسفان لموت أحد ولا حياته .. فإذا رأيتهم ذلك فافزعوا إلى ذكر الله بالصلاة .

.. وجد الرسول عليه الصلاة والسلام فى أولاد فاطمة امتدادا له .. فأحبهم حبا شديدا .. وقربهم اليه ، بل كان ينزل من على منبره إذا وجد أحدهما يتعثر فى ملابس فى المسجد .. !يساعده على النهوض .

وعاشت فاطمة قريبة من قلب والدها العظيم .

وعاش أولادها قريبون من قلب جدهم عليه الصلاة والسلام .

ومضى رسول الله إلى أكرم جوار .. بعد أن أخبر ابنته فاطمة الزهراء بأنها أول أهل بيته لحوقاً به .

وقرت عين الزهراء بهذه البشرى .. وابتسمت عندما حدثها الرسول عليه الصلاة والسلام فى مرض موته بهذا .

وعاشت الزهراء بعدها ستة أشهر أو أقل على حسب اختلاف الروايات ولكنها فى هذه الشهور القليلة التى عاشتها بعد الرسول الكريم شاهدت أحداثا كثيرة .

شاهدت الخلافة .. خلافة والدها وقد انتقلت للصديق ، وكانت تريدها لزوجها على بن أبى طالب .

واختلفت مع الصديق على أرض (فدك) ولكن الصديق كان يتمنى رضاها .

.. فقد كانت حبيبة إلى قلبه ، حبة الفائق لوالدها العظيم .

وشاهدت انطلاقا الفتوحات الاسلامية لتجابه اعظم امبراطوريات عصرها .. الفرس والروم .

وانتقلت إلى جوار ربها .. راضية مرضية ولكن زوجها ، واولادها : الحسن والحسين ، قد تركا بصمات لا تمحى فى مسيرة التاريخ الاسلامى ، وتعرض نسلها لما هو فوق طاقة البشر .. ولكن هذا النسل الطاهر .. كان دائما فى مستوى المسؤولية .. جاهدوا فى الله حق جهادة .. وعاشوا لله وبالله . وكانوا مثالا رائعا للاقتداء بسيدة نساء العالمين .. فاطمة الزهراء .. فى زهدا وتقواها .. وحبها العظيم للاسلام ونبى الاسلام ..

وظل احفادها فى جهادهم ضد قوى البطش والطغيان محاولين اعادة الحكم إلى عصورة الذهبية فى عصر النبى عليه الصلاة والسلام والشيخان (أبو بكر و عمر) فلاقوا فى سبيل ذلك ملاقوا من اضطهاد ونفى وتشريد وقتل ، إلى ان قامت الدولة الفاطمية فى المغرب وانتقلت إلى مصر وهى تحمل اسم فاطمة الزهراء ..

وستظل اسم فاطمة الزهراء فى قلوب كل محبى لآل البيت .. لأنها بنت الرسول الخاتم عليه الصلاة والسلام والتى قال عنها انها سيدة نساء اهل الجنة .

مأمون غريب